سَلْوَةُ المَحَزُونِ وَعَزَوَةُ المَمْحُونِ

تأليف

الحبيب علي بن حسن العطاس

نفع الله به وبعلومه في الدارين

آمين

اعتنى به حفيده

أحمد بن عمر بن طالب العطاس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالخلق والأمر ، الذي مدح الصابرين والصبر، ووعدهم عليه في الدنيا بالتأييد والنصر ، وفي الآخرة بالفوز بجزيل الأجر ، وخص شهر الصبر بليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر ، وكرر ذكر الصبر في نحو تسعة وتسعين موضعا من كتابه العزيز الوجيز الزبر ، أحمده على نعمه التي لاتدخل تحت الحصر ، وأشهد أن لآ إله إلا الله شهادة أعدها جنة من مصائب الدنيا وضيق القهر ، ومعينة على سكرات الموت والزفر ، وأنسة من أهوال القبر، ونجاة من كربات يوم الحشر والنشر ، وجوازا على حد الجسر ، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث بالعذر والنذر ، وعلى آله وصحبه وتابعيه في كل عصر ومصر .

أمابعد : فقد من الله الكريم على عبده العديم بأن يجمع آيات الصبر الواردة في القرءان العظيم على سبيل التضرع ، والا فالقرءان كله يتضمن الأمر بالصبر ، ولو لم يكن إلا قوله تعالى ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئا وهوخير لكم** ﴾[الآية ٢١٦ البقرة] لكفانا ذلك سرورا بالمكاره لما في طيها من محبة الله واختياره ، فاخترت هذه الآيات وتجريدها في موضع متقارب لتكون عدة لي ولكل محب وحميم ، وصديق ونديم ، وتسلية لي ولهم من كل خطب جسيم ، وتقوية لقلوبنا عند الصدمات إذا ادلهم ليلها المظلم البهيم ، وبالله التوفيق والتقويم ، على الصراط المستقيم ، فنوردها إن شاء الله مستقصاة على التكميل والتتميم ، إلا آيات ورد الصبر فيها

بخطاب غير أهل الإيمان مثل قوله تعالى ﴿ **لن نصبرعلى طعام واحد** ﴾ [الآية ٦١ البقرة] وقوله ﴿ **فما أصبرهم على النار** ﴾ [الآية ١٢٥ البقرة] وقوله ﴿ **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا** ﴾ [الآية ٢١ إبراهيم] وقوله ﴿ **فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم** ﴾ [الآية ١٦ الطور] ﴿ **إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها** ﴾ [الآية ٤٢ الفرقان] وقوله ﴿ **وانطلق الملاء منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم** ﴾ [الآية ٦ ص] وقوله تعالى ﴿ **فإن يصبروا فالنارمثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين** ﴾ [الآية ٢٤ فصلت] فإن هذه الآيات ذكر الصبر فيها على سبيل التهكم والتوبيخ بعد أن فات ثمره ، ثم نورد في ذلك جملة مباركة من الأخبار والآثار والأشعار مما ورد في مدح كل صبار ، فيكون مجموع تلك الأنوار الشارقة من كلام الملك الحق الجبار ، ورسوله المختار ، وعلماء ملته الأخيار، فيحق لمطالعه أن يقتني الصبر ويختاره ليكون إن شاء الله من الصالحين الأبرار ، الفائزين بنيل الأوطار ، والناجين يوم تنكشف الأسرار ، وتظهر أخبار الإختبار . وسميته **(سلوة المحز ون وعزوة الممحون)**

(فائدة) قال العلماء : الصبر مشتق من الأصبار ؛ وهو الإستهداف والتعرض للسهام ، وكذلك الصابر ينصب نفسه غرضا لسهام القضاء ، فإن ثبت لها فهو صابر ، والصبر ثبات القلب بين يدي الرب . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الصبر في القرءان على ثلاثة أوجه :

صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة ، وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة ، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة . وقال الغزالي : الصبر هوعبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى . وسئل الفضيل عن الصبر فقال : هو الرضاء بقضاء الله ! قيل كيف ذلك ؟ قال: الراضي لا يتمنى فوق منزلته . وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أعطي فشكر ، وابتلي فصبر ، وظلم فغفر ، وظلم واستغفر ؛ ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا ماذا يارسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . أي لهم الأمن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا . وهذا أوان الشروع :

الآية الأولى: قوله تعالى ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلاعلى الخاشعين** ﴾ [الآية ٤٥ البقرة]

وقوله تعالى ﴿ **ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** ﴾ [الآية ١٥٣ البقرة]

وقوله تعالى ﴿ **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا**

إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [الآيات : ١٥٥ – ١٥٧ البقرة]

وقوله تعالى ﴿ **والمؤفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾** [الآية : ١٧٧ البقرة]

وقوله تعالى ﴿ **قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين * ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾** [الآيات : ٢٤٩ – ٢٥٠ البقرة]

وقوله تعالى ﴿ **الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ﴾ [الآية : ١٧ آل عمران]**

وقوله تعالى ﴿ **بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ [الآية : ١٢٥ آل عمران]**

وقوله تعالى ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ [الآية : ١٤٢ آل عمران]**

وقوله تعالى ﴿ **وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين** ﴾ [الآية : ١٤٦ آل عمران]

وقوله تعالى ﴿ **لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور** ﴾ [الآية : ١٨٦ آل عمران]

وقوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ [الآية : ٢٠٠ آل عمران]

وقوله تعالى ﴿ **وإن تصبروا خيرا لكم والله غفور رحيم** ﴾ [الآية ٢٥ النساء]

وقوله تعالى ﴿ **قد نعلم أنه ليحزنك الذين يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا و لامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين** ﴾ [الآيات : ٣٣- ٣٤ الأنعام]

وقوله تعالى ﴿ **وإن كانت طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين** ﴾ [الآية : ٨٧ الأعراف]

وقوله تعالى ﴿ **وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين** ﴾ [الآية : ١٢٦ الأعراف]

وقوله تعالى ﴿ **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** ﴾ [الآية : ١٢٨ الأعراف]

وقوله تعالى ﴿ **وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا** ﴾ [الآية : ١٣٧ الأعراف]

وقوله تعالى ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾ [الآية : ٤٦ الأنفال]

وقوله تعالى ﴿ **يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون * الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا**

فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألفا يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ [الآيات : ٦٥- ٦٦ الأنفال]

وقال تعالى ﴿ **واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ﴾** [الآية : ١٠٩ يونس]

وقوله تعالى ﴿ **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾** [الآية : ٤٩ هود]

وقوله تعالى ﴿ **واصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين ﴾** [الآية : ١١٥ هود]

وقوله تعالى ﴿ **وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾** [الآية : ١٨ يوسف]

وقوله تعالى ﴿ **قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم ﴾** [الآية : ٨٣ يوسف]

وقوله تعالى ﴿ **قالوا ءأنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ [الآية : ٩٠ يوسف]

وقوله تعالى ﴿ **والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار * جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** ﴾ [الآيات : ٢٢-٢٤ الرعد]

وقوله تعالى ﴿ **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ [الآية : ٥ إبراهيم]

وقوله تعالى ﴿ **وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون** ﴾ [الآية : ١٢ إبراهيم]

وقوله تعالى ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ [الآية : ٩٦ النحل]

وقوله تعالى ﴿ **ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم** ﴾ [الآية : ١١٠ النحل]

وقوله تعالى ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * واصبر وماصبرك إلا بالله ولاتحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون * إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ [الآيات : ١٢٦ – ١٢٨ النحل]

وقوله تعالى ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا** ﴾ [الآية : ٢٨ الكهف]

وقوله تعالى ﴿ **قال إنك لن تستطيع معي صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * قال ستجدني صابرا ولا أعصي لك أمرا** ﴾ [الآيات : ٦٧ – ٦٩ الكهف]

وقوله تعالى ﴿ **قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا** ﴾ [الآية : ٧٢ الكهف]

وقوله تعالى ﴿ **سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا** ﴾ [الآية : ٧٨ الكهف]

وقوله تعالى ﴿ **رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا** ﴾ [الآية : ٦٥ مريم]

وقوله تعالى ﴿ **فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها** ﴾ [الآية : ١٣٠ طه]

وقوله تعالى ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** ﴾ [الآية : ١٣٢ طه]

وقوله تعالى ﴿ **وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين** ﴾ [الآية : ٨٥ الأنبياء]

وقوله تعالى ﴿ **وبشرالمخبتين* الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ [الآيات : ٣٤ – ٣٥ الحج]

وقوله تعالى ﴿ **إني جزيتهم اليوم بما صبروا إنهم هم الفائزون** ﴾ [الآية : ١١١ المؤمنون]

وقوله تعالى ﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا** ﴾ [الآية : ٢٠ الفرقان]

وقوله تعالى ﴿ **أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما** ﴾ [الآية : ٧٥ الفرقان]

وقوله تعالى ﴿ **أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ [الآية : ٥٤ القصص]

وقوله تعالى ﴿ **وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون** ﴾ [الآية : ٨٠ القصص]

وقوله تعالى ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين * الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ [الآيات : ٥٨ – ٥٩ العنكبوت]

وقوله تعالى ﴿ **فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لايوقنون** ﴾ [الآية : ٦٠ الروم]

وقوله تعالى ﴿ **يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ [الآية : ١٧ لقمان]

وقوله تعالى ﴿ **ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ [الآية : ٣١ لقمان]

وقوله تعالى ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ [الآية : ٢٤ السجدة]

وقوله تعالى ﴿ **والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** ﴾ [الآية : ٣٥ الأحزاب]

وقوله تعالى ﴿ **قال يا أبت إفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين** ﴾ [الآية : ١٠٢ الصافات]

وقوله تعالى ﴿ **وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولاتحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب** ﴾[الآية : ٤٤ ص]

وقوله تعالى ﴿ **قل ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [الآية : ١٠ الزمر]

وقوله تعالى ﴿ **فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار** ﴾ [الآية : ٥٥ غافر]

وقوله تعالى ﴿ **فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أونتوفينك فإلينا يرجعون** ﴾ [الآية : ٧٧ غافر]

وقوله تعالى ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي أحسن فإذاالذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * ومايلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ [الآيات : ٣٤ – ٣٥ فصلت]

وقوله تعالى ﴿ **ومن آياته الجواري في البحر كالأعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ [الآيات : ٣٢ - ٣٣ الشورى]

وقوله تعالى ﴿ **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾ [الآية : ٤٢ الشورى]

وقوله تعالى ﴿ **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون** ﴾ [الآية : ٣٥ الأحقاف]

وقوله تعالى ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** ﴾ [الآية : ٣١ محمد]

وقوله تعالى ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم** ﴾ [الآيات : ٤ - ٥ الحجرات]

وقوله تعالى ﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم * ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم** ﴾ [الآيات : ٤٨ – ٤٩ الطور]

وقوله تعالى ﴿ **فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * ومن الليل فسبحه وأدبار السجود** ﴾ [الآيات : ٣٩ – ٤٠ ق]

وقوله تعالى ﴿ **إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر** ﴾ [الآية : ٢٧ القمر]

وقوله تعالى ﴿ **فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت** ﴾ [**الآية : ٤٨ القلم**]

وقوله تعالى ﴿ **من الله ذي المعارج * تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة * فاصبر صبرا جميلا** ﴾ [الآيات : ٣ – ٥ المعارج]

وقوله تعالى ﴿ **واصبر على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا** ﴾ [الآية : ١٠ المزمل]

وقوله تعالى ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * يا أيها المدثر * قم فأنذر* وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر** ﴾ [الآيات : ١- ٧ المدثر]

وقوله تعالى ﴿ **وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا** ﴾ [الآية : ١٢ الإنسان]

وقوله تعالى ﴿ **فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أوكفورا** ﴾ [الآية : ٢٤ الإنسان]

وقوله تعالى ﴿ **ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة** ﴾ [الآيات : ١٧ – ١٨ البلد]

وقوله تعالى ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [سورة العصر]

وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : الصبر نصف الإيمان . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ، ومن أعطي حظه من اليقين والصبر لم يبالي بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ، ولأن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب إلي من أن يوافيني كل امرء منكم بمثل عمل جميعكم ؛ ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وتنكركم أهل السماء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ، ثم قرأ قوله تعالى ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون** ﴾ [الآية : ٩٦ النحل]

وعن أبي جمرة الثمالي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال : إذا كان يوم القيامة ينادي مناد ليقم أهل الفضل ؛ فيقوم أناس من الناس

فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم إلى أين ؟ فيقولون إلى الجنة ، قالوا قبل الحساب ! قالو : نعم ، قالوا وما أنتم ؟ قالوا نحن أهل الفضل ، قالوا وما كان فضلكم؟ قالوا : كنا إذا جهل علينا حملنا وإذا أساء إلينا غفرنا ، قالوا : أدخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . ثم ينادي أيضا : ليقم أهل الصبر فيقوم أناس من الناس فيقال لهم : أدخلوا الجنة فتتلقاهم الملائكة فتقول لهم مثل ذلك ، فيقولون : نحن أهل الصبر ! فيقولون وما صبركم ؟ فيقولون صبرنا أنفسنا على الطاعة وصبرنا أنفسنا عن المعصية ، فيقولون لهم : أدخلوا الجنة نعم أجر العاملين . ثم ينادي أيضا : ليقم جيران الله تعالى في داره ؛ فتقوم أناس من الناس وهم قليل ، فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة وتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون : كنا نتزاور في الله ، ونتحاب في الله تعالى ، فيقولون لهم : أدخلوا الجنة نعم أجر العاملين .

وروى جابر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان فقال : الصبر والسماحة . وقال أيضا : الصبر كنز من كنوز الجنة . وسئل مرة ما الايمان ؟ فقال : الصبر . قال الغزالي : وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : الحج عرفة . وقال أيضا : أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس . وقيل : أوحى الله إلى داود عليه السلام : تخلق بأخلاقي وإن من أخلاقي إني أنا الصبور .

وفي حديث عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الأنصار فقال : أنتم مؤمنون ؟

فسكتوا ! فقال عمر : نعم يارسول الله ، فقال رسول الله : وما علامة إيمانكم ؟ فقالوا : نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : مؤمنون ورب الكعبة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : في الصبر على ماتكره خير كثير . وقال المسيح عليه السلام : إنكم لا تدركون ماتحبون إلا بصبركم على ماتكرهون . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لوكان الصبر رجلالكان كريما والله يحب الصابرين .

وعن سهل ابن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء . أخرجه أبو داود والترمذي . وكظم الغيظ تجرعه وترك المقابلة عليه صبرا وتحلما .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت .

وقسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة مالا فقال بعض الأعراب من المسلمين : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ! فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحمرت وجنتاه ، ثم قال : يرحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليله ، والعمل قائده ، والرفق والده ، والبر أخيه ، والصبر أمير جنوده .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ياعلي كيف أنت إذا زهد الناس في الآخرة ورغبوا في الدنيا ؛ وأكلوا التراث أكلا لما ، وأحبوا المال حبا جما ، واتخذوا دين الله دغلا ، ومال الله دولا ؟ قلت : أتركهم وما اختاروا واختار الله ورسوله والدار الآخرة ، واصبر على مصائب الدنيا وبلواها حتى ألحق بك إن شاء الله تعالى ، قال صدقت ، اللهم افعل ذلك به . نقله المحب الطبري وأخرجه الحافظ الثقفي في الأربعين . انتهى .

قلت :وقوله : دين الله دغلا ؛ هو بفتح الدال المهملة والغين المعجمة ، وهو الفساد والخداع والريبة كما ذكره النووي في شرح صحيح مسلم . وأما قوله : ومال الله دولا ، قال بعض المفسرين : الدولة بالضم والفتح ، وقرئ بهما ، فبالضم مايتداول ، وبالفتح بمعنى التداول ، وقيل بالضم في المال وبالفتح في الحرب . ومعنى قوله هنا : أن الرؤساء يستأثرون بالغنيمة دون الفقراء ويقولون من عزيز .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ، ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه ونظر في الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولاشاكرا .

قال الإمام الغزالي : ورأيت في الإنجيل قال عيسى عليه السلام : لقد قيل لكم من قبل : إن السن بالسن ، والأنف بالأنف ، وأنا أقول لكم : لاتقاوم الشر بالشر بل من ضرب خدك اليمين فحول إليه الخد الأيسر ، ومن أخذ رداءك فاعطه إزارك ، ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين . قال : وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى ، والصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه يعاون فيه باعث الدين على باعث الشهوة والغضب جميعا .

قلت : ويؤيد هذا ما حكاه الله عن آدم إذ قال لأخيه ﴿ **لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين** ﴾ [الآية : ٢٨ المائدة]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنتظار الفرج بالصبر عبادة .

وقال عليه الصلاة والسلام : ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله ﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون** ﴾ [الآية ١٥٦ البقرة] اللهم أجرني في مصبيتي وأعقبني خيرا منها إلا فعل الله ذلك به .

وقال عليه الصلاة والسلام : يقول الله عز وجل : إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلى عواده أبدلته لحما خيرا من لحمه ، ودما خيرا من دمه ، فإن أبرأته أبرأته ولاذنب عليه ، وإن توفيته فإلى رحمتي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته : أن تصل رحمك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عن من ظلمك . رواه الحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

وعنه أن رجلا قال يارسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، وأحسن إليهم ويسيئون إلي ، وأحلم عليهم ويجهلون علي ، فقال : إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملى ، ولايزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك . رواه مسلم . وتسفهم بضم الفاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء ، أي كأنما تطعمهم الملى وهو الرماد الحار ، وهو كناية عما يلحقهم من الإثم بادخالهم الأذى على من يحسن إليهم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر . رواه البخاري ومسلم .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولاهم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه . رواه البخاري ومسلم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاث من كن فيه فهو من الأبدال : الرضا بالقضاء ، والصبر عن محارم الله ، والغضب في ذات الله عز وجل . نقله في الجامع الصغير من مسند الفردوس للديلمي عن معاذ .

وروي أن رجلا قال يارسول الله : ذهب مالي وسقم جسمي ! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لاخير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده ، إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه ، واذا ابتلاه صبره . وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى في جسمه فيبلغها بذلك بغير حساب .

وفيه عن علي كرم الله وجهه قال : أيما رجل حبسه ظلما فمات فهو شهيد ، وان ضربه فمات فهو شهيد .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لمكة ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ؛ ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك . أخرجه الترمذي .

وقال داود لسليمان عليهما السلام : يستدل على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم ينل ، وحسن الرضا فيما قد نال ، وحسن الصبر على ما قد فات .

وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم : من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : قال الله تعالى : إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أوولده ثم استقبل

ذلك بصبر جميل إستحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا .

وروى أبو هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أدلكم على ما يحط به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا بلى يارسول الله ؛ قال : إسباغ الوضوء عند المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فتلكم الرباط .

وقال عليه الصلاة والسلام : الصبر ضياء وبالصبر يتوقع الفرج .

وقال عليه الصلاة والسلام : الصبر ستر من الكروب ، وعون على الخطوب .

وقال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إحفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطاك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم بأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة ، وإن الصبر يأتي من الله على قدر البلاء . ذكره البزار .

وقال خبا ب بن الأرت : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مانلقاه من الضر وسواه وهو متوسد رداءه في ظل الكعبة ؛

وقلنا له ألا تدعوالله لنا ؛ ألا تستنصر لنا ، قال : كان الرجل ممن كان قبلكم تحفرله في الأرض حفرة ثم يجاء بمنشار فيجعل على رأسه فيشق إثنين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط لحمه بأمشاط الحديد وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لايخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون . ذكره البخاري .

وقال سعد : قلت لرسول لله صلى الله عليه وآله وسلم : أي الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على قدر دينه ، فإن كان دينه صلبا فلا يبرح البلاء على العبد حتى يتركه يمشي على الأرض ولا عليه خطيئة . ذكره الترمذي .

قلت : فانظر رحمك الله إلى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الأنبياء أشد بلاء ، وتفهم ذلك لتتسلى وتتعزا وتتأسى ؛ لأنه قال ثم الأمثل فالأمثل . قال النووي في شرح صحيح مسلم : والحكمة في جواز المرض ومصائب الدنيا على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تكثير أجرهم وتسلية للناس بهم ، ولئلا يفتتن الناس بهم ويعبدونهم لما ظهر عليهم من المعجزات والآيات البينات . والله أعلم .

وفي الإحياء قال أبو الدرداء رضي الله عنه : تولدون للموت ، وتعمرون للخراب ، وتحرصون على ما يفنى ، وتذرون ما يبقى ، ألا حبذا المكروهات الثلاث : الفقر والمرض والموت .

وفي الإحياء أيضا عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا أراد الله بعبد خيرا وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صبا ، وثجه عليه ثجا ؛ فإذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف ، فإذا دعاه ثانيا فقال يارب ، قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك ، لا تسألني شيئا إلا أعطيتك ، ودفعت عنك ما هو خير لك ، وادخرت لك عندي ما هو أفضل منه ، فإذا كان يوم القيامة جيئ بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان ، أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزانا ولا ينشر لهم ديوانا ، يصب عليهم الأجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا ، فيود أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب ، وذلك قوله تعالى ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [الآية : ١٠ الزمر]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : شكى نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى ربه فقال : يارب ؛ العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ، ويكون العبد لا يطيعك ويجتري على معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا ! فأوحى الله تعالى إليه أن العباد لي ، والبلاء لي ، وكل يسبح بحمدي، فيكون المؤمن عليه من الذنوب كأمثال الجبال الرواسي فأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فأجزيه بحسناته ، ويكون الكافر

له الحسنات فأبسط له الدنيا وأزوي عنه البلاء فأجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فأجزيه بسيئآته .

وفيه أيضا لما نزل قوله تعالى ﴿ **ومن يعمل سوأ يجزأ به** ﴾ [الآية : ١٢٣ النساء] قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه : كيف الفرح بعد هذه الآية !! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : غفر الله لك يا أبابكر ألست تمرض ؟ ألست يصيبك الأذى ؟ ألست تحزن ؟ فهذا ماتجزى به ، يعني أن جميع ما يصيبك كفارة لذنوبك .

وفي الخبر : يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له أترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر ؟ فيقول نعم يارب ! فيقول الله تعالى : كلا ؛ أنعمت عليه فشكر وأثنى ، وابتليتك فصبرت ، لأضعفن لك الأجر عليه، فيعطى أضعاف أجر الشاكرين .

وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يارسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك ؟ قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع ؛ فقال : ياعائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهبا لأجراها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها ، وفقر الدنيا على غنائها ، وحزنها على فرحها ، ياعائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة إن الله لم يرض لي إلا أن يكلفني ما كلفهم ، فقال : فاصبر كما صبر أولي العزم من الرسل ، والله ما لي بد من طاعته ، والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة إلا بالله .

وفي الحديث : إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، وفيه لايخلو المؤمن من علة أو عيلة أو قلة أو ذله . وفي الإحياء عن عقبة ابن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : إذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصية فاعلموا أن ذلك استدراج ، ثم قرأ قوله تعالى ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء** ﴾ [الآية : ٤٤ الأنعام] يعني لما تركوا ما أمروا به فتحنا عليهم أبواب الخيرات حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة .

قلت : وقد جاء في معنى الآية أنهم كلما أحدثوا ذنبا جددنا لهم نعمة . وفيه عن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا من الصحابة رأى إمرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها ، فجعل الرجل يلتفت إليها وهي تمشي ، فصدمه حائط فأثر في وجهه ؛ فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته في الدنيا .

وعن علي كرم الله وجهه : ألا أخبركم بأرجى آية في كتاب الله تعالى ؟ قالوا بلى ؛ فقرأ عليهم ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ [الآية : ٣٠ الشورى] فالمصائب في الدنيا بكسب الأوزار ، فإذا عاقبه الله تعالى في الدنيا فا الله أكرم من أن يعذبه ثانيا ، وإن عفا عنه فا الله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة .

وفيه عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ، ولاقطرت قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دم أهرقت في سبيل الله ، وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولايراه إلا الله تعالى ، وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة الفريضة ، وخطوة إلى صلة الرحم .

وفيه عن أبي أوفى قال : توفي ولد لسليمان ابن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا ، فأتاه ملكان فجلسا بين يديه في زي الخصوم ، فقال أحدهما : بذرت بذرا فلما استحصل مر به هذا فأفسده ؛ فقال للآخر ما تقول : فقال أخذت الجادة فأتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فإذا الطريق عليه، فقال سليمان ابن داود عليه السلام : ولم بذرت على الطريق أما علمت أنه لا بد للناس من الطريق ، قال فلم تحزن على ولدك ؛ أما علمت أن الموت سبيل الآخرة ، فتاب سليمان عليه السلام إلى ربه ولم يجزع على ولده بعد ذلك .

قلت : هذه القصة تحاكي ما حكي أنه مات لبعضهم ابن فحزن عليه وبكى حتى عمي ، فقال له بعضهم : الذنب لك حيث أحببت حيا يموت ! هلا أحببت حيا لايموت ، لاتقع في الحزن . انتهى .

وفي الخبر : أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد ، وأول من يدخله أهل البلاء ؛ إمامهم أيوب عليه السلام . قال الإمام الغزالي في الإحياء بعد نقل هذا الحديث : وكل ما ورد في

فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر ، لأن الصبر حال الفقير والشكر حال الغني .

ولما قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض الوفود وقالوا إنا مؤمنون ، قال وما علامة إيمانكم ؟ قالوا : الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بمواقع القضاء ، فقال عليه السلام : إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لاتأكلون ، ولا تبنوا ما لاتسكنون، ولاتنافسوا فيما عنه ترحلون .

وفي تفسير البغوي بسنده إلى رسول الله صلى عليه وآله وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل أنه قال : أغبط أوليائي عندي المؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة ، أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر ، وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع ، رزقته كفافا فصبر على ذلك، ثم نقر بيده هكذا ، فقال عجلت منيته ، قلت بواكيه ، قل تراثه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن هذه الدار دار إلتواء لا دار إستواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله خلق الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبى ، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببا ، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضا ، فيأخذ ليجزي ، إنها لسريعة الذهاب ، وشيكة الإنقلاب ، فاحذروا حلاوة رضاعها ، واهجروا لذيذ عاجلها لكربة أجلها ، ولا تسعوا إلى عمران دار قد قضى الله خرابها . الحديث.

وفي الإحياء : دخل عمر ابن عبد العزيز على ابن له مريض فقال : يابني : لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك ، فقال يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن أكون ما أحب .

وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعي إليه إبنة له فاسترجع وقال : عورة سترها الله ، ومؤنة كفاها الله ، وأجر قد ساقه الله ، ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال : صنعنا ما أمر الله تعالى ، قال الله ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ .

وفيه عن ابن المبارك أنه مات له ابن فعزاه مجوسي يعرفه فقال : ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعدخمسة أيام ! فقال ابن المبارك : أكتبوا عنه هذه .

وفيه قال بعض العلماء : إن الله تعالى ليبتلي العبد البلاء بعد البلاء حتى يمشي على الأرض وماله ذنب .

وفيه قال الفضيل : إن الله تعالى ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير .

وفيه أيضا قال حاتم الأصم : إن الله عز وجل يحتج على الخلق يوم القيامة بأربعة أنفس على أربعة أجناس : على الأغنياء بسليمان ابن داود عليهما السلام ، وعلى الفقراء بعيسى عليه السلام ، وعلى العبيد بيوسف

عليه السلام ، وعلى المرضى بأيوب عليه السلام ، صلوات الله وسلامه عليهم .

وفيه روي أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك ؛ فجيئ بالمنشار فنشرت الشجرة حتى وصل المنشار إلى رأس زكريا ، فأنَّ أنة فأوحى الله إليه : يازكريا لأن صعدت منك أنة ثانية لأمحونك من ديوان النبوة ، فعض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قطع شطرين .

وفيه قال أبو سعيد البلخي : من أصيب بمصيبة فمزق ثوبا أوضرب صدرا فكأنما أخذ رمحا يريد أن يقاتل به ربه عز وجل .

وفيه قال لقمان لإبنه : يابني إن الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء ، واذا أحب الله قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط .

وفيه قال ذو النون : أقرب الناس إلى الفقر ذو فاقة لا صبر له .

وفي مسلم عن أبي مالك الأشعري قال صلى الله عليه وآله وسلم : الطهور شطر الايمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان، والصبر ضياء ، والقرءان حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبايع نفسه أو مؤبقها . قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم : وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم : والصبر ضياء ، فمعناه الصبر المحبوب في الشرع ؛ وهو

الصبر على طاعة الله تعالى ، والصبر عن معصيته ، والصبر أيضا على النائبات وأنواع المكاره في الدنيا . والمراد أن الصبر محمود لا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مشمرا على الصواب .

قال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة .

وقال ابن عطاء : الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب .

وقال الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى : حقيقة الصبر أن لاتعترض على المقدور ، فأما إظهار البلاء على وجه الشكوى فلا ينافي الصبر ، قال الله تعالى في أيوب صلى الله عليه وسلم ﴿ **إنا وجدناه صابرا** ﴾ مع أنه قال ﴿ **مسني الضر** ﴾ والله أعلم . انتهى كلام النووي نفع الله به وأمدنا من مدد مواهبه آمين .

وفي الإحياء قال الأحنف بن قيس : أصبحت يوما أشتكي ضرسي فقلت لعمي : ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثا ؛ فقال لقد أكثرت في ضرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة ماعلم بها أحد . وفيه أوحى الله إلى عزير عليه السلام : إذا نزلت بك بلية فلا تشتكي إلى خلقي ؛ كما لا أشكوك إلى ملائكتي إذا صعدت مساويك وفضائحك . انتهى .

وقال صاحب كتاب الفصول المهمة لابن الجوزي : أن هارون الرشيد لما حبس موسى الكاظم كتب إليه الإمام موسى كتابا يقول فيه : ياهارون إنه لن يقضي عني يوم من البلاء إلا انقضا معه عنك يوم من الرخاء حتى نمضي جميعا إلى يوم ليس فيه انقضاء ﴿ **هنالك يخسر المبطلون** ﴾ .

وفي كتاب الفصول يقول : روي أن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق أحضر أولاده يوما فقال لهم : يابني إني موصيكم بوصية من حفظها انتفع بها : إن أتاكم آت فأسمع أحدكم في الأذن اليمنى مكروها ثم تحول إلى الأذن اليسرى فاعتذر وقال لم أقل شيئا فاقبلوا عذره .

وعن جعفر الصادق أنه قال : ثلاث لايزيد الله بها الرجل المسلم إلا عزا : الصفح عمن ظلمه ، والإعطاء لمن حرمه ، والصلة لمن قطعه .

وعن محمد الجواد عن آبائه عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم أنه قال : لو كانت السموات والأرض رتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخرجا .

وعنه أنه قال : إن للمحن أخريات لا بد أن تنتهي إليها فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها ؛ فإن مكابدتها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها .

وعنه رضي الله عنه أنه قال : من وثق بالله وتوكل عليه نجاه الله من كل سوء ، وحرزه من كل عدو ، والدين عز ، والعلم كنز ، والصمت نور ، وغاية الزهد الورع ، ولا أهدم للدين مثل البدع ، ولا أفسد للرجال مثل الطمع ، وبالراعي تصلح الرعية ، وبالدعاء تدفع البلية ، ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر .

وقال رضي الله عنه : يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم ، ومن طلب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبورا . وقال : الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت . وقال ثلاث خصال تجلب بهن المودة : الإنصاف في المعاشرة ، والمواساة في الشدة ، والإنطوا على قلب سليم .

وفي المهذب أن إمرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : يارسول الله أدع الله لي أن يشفيني ، فقال : إن شئت دعوت الله فشفاك وان شئت فاصبري ولا حساب عليك ؛ قالت : أصبر ولا حساب علي . انتهى .

وقال عمر رضي الله عنه : من خاف الله تعالى لم يشف غيظه ، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ، ولو لا يوم القيامة لكان غير ماترون .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من عزا مصابا فله مثل أجره .

قلت : ويستحب أن يعزى بتعزية الخضر عليه السلام أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أن يقول : إن في الله سبحانه عزا من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل فائت ، واياه فأرجو، فإن المصاب من حرم الثواب .

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال : لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبراء هم جلساء الله يوم القيامة .

وأما الآثار والأشعار فقد روي أن موسى عليه السلام قال : يارب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن رضاي في كرهك وأنت لاتصبر على ما تكره ، قال يارب دلني عليه ؟ قال إن رضاي في رضاك بقضائي .

وفي مناجاة موسى عليه السلام ؛ يارب أي خلقك أحب إليك ؟ قال : من إذا أخذت منه المحبوب سالمني ، قال فأي خلقك أنت عليه ساخط ؟ قال من يستخيرني في الأمر فإذا قضيت له سخط قضائي .

قال الإمام الغزالي بعد نقله : وقد روي أمرا أشد من ذلك وهو أن الله تعالى قال : إني أنا الله لآ إله إلا أنا من لم يصبر على بلائي ولم

يشكر لنعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سواي ، قال : ومثله في الشدة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : قدرت المقادير ودبرت التدابير وأحكمت الصنع ؛ فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني ، ومن سخط فله السخط حتى يلقاني .

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : ياداود تريد وأريد وانما يكون ما أريد ، فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لايكون إلاما أريد .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال .

وقد قال عمر ابن عبد العزيز : ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر ، وقيل ما تشتهي ؟ فقال : ما يقضي الله تعالى .

وقال ميمون ابن مهران : من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دوى .

وقال الجنيد رضي الله عنه : كنت نائما عند السري السقطي رضي الله عنه فنبهني فقال لي : ياجنيد رأيت كأني وقفت بين يديه فقال لي : ياسري خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتي ، وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العشر ، وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر وبقي معي عشر العشر ، فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر ، فقلت للباقين معي : لا للدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم ولا من النار هربتم فماذا تريدون ؟ فقالوا : إنك تعلم ما نريد !

فقلت لهم إني مسلط عليكم بعدد أنفاسكم ما لاتقوم به الجبال الرواسي ، أتصبرون ؟ فقالوا : إذا كنت أنت المبتلي فافعل ماشئت ، فهؤلاء عبادي حقا . ذكر ابن عباد في شرح الحكم عند قول الشيخ ابن عطاء : ليهون ألم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبتلي لك ، فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الإختيار . انتهى . شعرا :

وخفف عني ما أولاقي من العنا يقيني بأنت المبتلي والمقدر
وما لإمرءِ عما قضى الله مـهرب وليس له منه الـذي يتخير

ونظر رجل إلى قرحة في رجل محمد ابن واسع فقال : إني لأرحمك من هذه القرحة ! فقال : إني لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني .

وعن بعض السلف أن الله تعالى إذا قضى من السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه .

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : ذروة الإيمان الصبر للحكم ، والرضا بالقدر .

وقال عمر رضي الله عنه : ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت من شدة ورخاء .

وكان الفضيل يقول : من استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله . ذكر ذلك في الإحياء .

وقال فيه أيضا : كان إبراهيم بن أدهم من المشتاقين قال : قلت ذات يوم يارب إن أعطيت أحدا من المحبين ما يسكن به قلبه قبل لقائك

فاعطني ذلك فقد أضرني القلق ، قال : فرأيت في النوم أنه أوقفني بين يديه وقال : أما استحييت مني أن سألتني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي ! وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه ! فقلت يارب تهت في حبك فلم أدري ما أقول فاغفر لي وعلمني ما أقول ، فقال قل : اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك . انتهى .

قلت : ومن دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول : اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك الكريم ، وشوقا إلى لقائك .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إذا أحب الله عبدا ابتلاه ، فإن أحبه الحب البالغ اقتناه ؛ قيل وما اقتناه ؟ فقال : لم يترك له أهلا ولا مالا .

وقال أحمد ابن الحواري رضي الله عنه : قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه : جوع قليل وذل قليل وصبر جميل وقد انقضت عنك أيام الدنيا . نقله ابن عباد في شرح الحكم له . ثم قال : واعلم أن ما ذكرناه من الصبر جماع كل فضيلة ، وملاك كل فائدة جزيلة ، ومكرمة نبيلة .

ثم قال : وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس رضي الله عنهما : إن استطعت أن تعمل لله مع الرضا في اليقين فافعل ، فإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا ، واعلم أن النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، واليسر مع العسر . وقال

بعض العلماء : إذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد أن يصافيك . شعرا :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت   ويبلي الله بعض القوم بالنعم

وكان سهل رحمه الله به علة وهو يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال : يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع .

وقال شقيق : من يرى ثواب الشدة لا يشتهي الخروج منها .

وقال بعضهم : أحببت كل شيء يحبه حتى لو أحب دخولي النار .

وقال بشر بن الحارث رحمه الله : قصدت عبادان في بداياتي فإذا أنا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه ، فرفعت رأسه ووضعته في حجري وأنا أردد الكلام ؛ فلما أفاق قال : من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ؛ لو قطعني إربا إربا ما ازددت له إلا حبا ، قال بشر : فما رأيت بعد ذلك نعمة بين عبد وربه فأنكرتها .

وروي أن موسى قال لجبريل عليهما السلام : دلني على أعبد أهل الأرض ؟ فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه فسمعته وهو يقول : إلهي متعتني بهما ما شئت وسلبتنيهما ما شيئت ؛ وأبقيت لي فيك الأمل يا بر ياوصول ، فقال موسى : ياجبريل إنما سألتك أن تريني صواما قواما ، قال : إن هذا كان قبل البلاء هكذا وقد أمرت أن أسلبه بصره فأشار إلى عينيه فسالتا ، فقال متعتني بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث

شئت ، وأبقيت لي فيك الأمل يا بر يا وصول ، فقال جبريل عليه السلام : هلم تدعو وندعو معك أن الله تعالى يرد عليك يديك ورجليك وبصرك فتعود إلى العبادة التي كنت فيها ، فقال : ما أحب ذلك ! قال ولم ؟ قال إذا كانت محبته في هذا فمحبته أحب إلي من ذلك ، قال موسى : ياجبريل ما رأيت أحدا أعبد من هذا ، فقال جبريل : ياموسى إن هذا طريق ليس تتوسل إلى رضاه بشيء أفضل منه . قال الشاعر :

من يجعل الرفق في مقاصده وفي مراقـــيه سلما سلما
والصبر عون الفتى وناصره وكل من يرتـديه ما ندما
فاصبر فإن الزمان عن كثب يأسوا على الدهر كلما كلما

ويروى عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أنه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم : لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث ؛ فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أبدا أشد سرورا منه ، فقيل له في ذلك فقال ابن عمر : إنما كان حزني رحمة له فلما وقع أمر الله رضينا به .

وقال مسروق : كان بالبادية رجل له كلب وحمار وديك ، فكان الديك يوقظهم للصلاة ، والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم ، والكلب يحرسهم ، فجاء الثعلب فأخذ الديك فحزنوا له ، وكان الرجل صالحا فقال عسى أن يكون خيرا ! ثم أتى ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه ثم قال الرجل : عسى أن يكون خيرا ! ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال : عسى أن يكون خيرا !! ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبي

من حولهم وأولئك بقواهم ، قال وانما أخذوا لما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة ، وكانت الخيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدر الله . قال الغزالي بعد نقل هذه القصة : فإذن من عرف خفي لطف الله تعالى رضي بفعله على كل حال . انتهى . قلت : ويؤيد ما قاله الحجة قوله تعالى ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم** ﴾ إلى قوله ﴿ **والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ .

ويروى أن عيسى عليه السلام مر برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى كثيرا من خلقه ؛ فقال عيسى : ياهذا أي شيء من البلاء عافاك منه أراك مصير وما عنك ، فقال ياروح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما في قلبي من جعل معرفته، فقال : صدقت هات يدك فناوله فإذا هو أحسن الناس وجها وأفضلهم هيئة ، قد أذهب الله عنه ما كان به ، فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه .

وقطع عروة ابن الزبير رجله من ركبته من أكلة خرجت بها ، ثم قال : الحمد لله الذي أخذ مني واحدة وأبقى لي أخرى ، وأيمك لئن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة .

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيهما ركبت إن كان الفقر فإن فيه الصبر ،وان كان الغنى فإن فيه البذل .

وقال أبو سليمان الداراني : قد أوتيت من كل مقام حالا إلا الرضا فمالي منه إلا مشام الريح ، وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا .

وقيل لعارف آخر : نلت غاية الرضا عنه ؛ فقال : أما الغاية فلا ولكن مقام من الرضا قد نلت ؛ لو جعلني جسرا على جهنم تعبر الخلائق علي إلى الجنة ثم ملاء بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لأحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه .

وقد كان عمران ابن الحصين قد استسقى بطنه فبقي ملقا على ظهره ثلاثين سنة لايقوم و لايقعد ، وقد ثقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته ، فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكي لما يرى من حاله ، فقال لم تبكي ؟ قال لأني أراك على هذه الحالة العظيمة ، قال لاتبكي فإن أحبه الله أحبه إلي ، ثم قال أحدثك شيئا لعل الله أن ينفعك به واكتم علي حتى أموت ، إن الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فأسمع تسليمها . قال الغزالي : فاعلم بذلك أن هذا البلاء ليس لعقوبة إذ هو بسبب هذه النعمة الجسيمة ، فمن يشاهد هذا في بلائه فكيف لا يكون راضيا به .

قال : ودخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقا عليه فما ظننا أن تحته شيئا حتى كشف ، فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك ؟ فقال : طالت الضجعة ودبرت الحراجيف وأصبحت نضوا لا

أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما ، ثم قال : ما يسرني إني نقصت من هذا قلامة ظفر . رضي الله عنه .

ولما قدم سعد ابن أبي وقاص إلى مكة وكان قدكف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له ، فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة ، قال عبد الله بن السائب فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني فقال : أنت قارئ أهل مكة ؟ فقلت نعم ! فذكر قصة قال في آخرها : فقلت ياعم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك ؟ فتبسم وقال : يابني قضى الله عندي أحسن من بصري .

وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام ولم يعرف له خبر ؛ فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال : اعتراضي عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي .

وفي كتاب أسنى المطالب في صلة الأقارب للإمام أحمد بن حجر الهيتمي قال : قال أبو علي الدقاق رحمه الله ونفع به : فاز الصابرون بعز الدارين ؛ إنهم نالوا من الله تعالى المعية ، قال الله تعالى ﴿ **إن الله مع الصابرين** ﴾

وعن بعض العباد أنه قال : أذنبت ذنبا عظيما فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة ؛ وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب ، قيل له وما هو ؟ قال : قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن .

وقال بعض السلف : لو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه .

وقال بعض أهل الشام : كلكم يلقى الله عز وجل ولعله قد كذبه ؛ وذلك لو أن أحدكم له إصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها أي عاهة لسلك ظلا يواريها ، يعني بذلك أن الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به ، والبلاء زينة أهل الآخرة ، والناس يستنكفون منه .

وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** ﴾ يبكي ويرددها ويقول : إنك لو بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا .

ومما يدلك على عظيم فضل الصبر وأنه يعقبه الجبر والنصر في الدنيا ويوم الحشر ؛ ماروي في الخبر أن العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ، ثم تنشر له من الأعمال الحسنة ما يستوجب الجنة ، فيعجب ويقول : يارب ما هذه أعمالي ما عملتها ؟ فيقال له هذه أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك .

وفي كتاب حياة الحيوان الكبرى مارواه ابن المظفر السمعاني عن والده قال : سمعت سعد بن نصر الواعظ يقول : كنت خائفا من الخليفة لحادث نزل واشتد الطلب بي فاختفيت ؛ فرأيت في النوم ليلة من الليالي كأني في غرفة جالسا على كرسي وأنا أكتب شيئا ، فجاء رجل وقف بازائي وقال : أكتب ما أملي عليك وأنشدني :

إدفع بصبرك حادث الأيـام | وترج لطف الواحد العـــلام
لا تيأسن وان تضايق كربها | ورماك ريب صروفـها بسهام
فله تعالى بين ذلك فرجـــة | تخفى على الأبصار والأوهـام
كم مترجي بين أطراف القنا | وفريسة سلمت من الضرغـام

قال : فلما أصبحت أتى الفرج ؛ وزال الخوف والحرج .

وفي الإحياء : قال محمد بن سعيد المروزي : الأمر كله يرجع إلى أصلين : فعل منه بك وفعل منك له ، فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل ، فإذا قد سعدت بهذين فزت بالأمرين .

وفي الإحياء : رؤي بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت أعمالك؟ فقال كل شيء عملته وجدته حتى حبة رمان التقطها من طريق ، وحتى هرة لنا ماتت رأيتها في كفة الحسنات ، وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئآت ؛ وموت حمار ليس فيها ، فقيل إنه قد وجه به حيث بعثته ، فإنه لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فذهب أجرك ، ولو قلت في سبيل الله لوجدته في الحسنات ، وفي رواية أخرى : وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم إلي فوجدت ذلك لا لي ولا علي ، قال سفين لما سمع هذا : ما أحسن حاله إذا لم يكن عليه فلقد أحسن إليه .

وفي كتاب حياة الحيوان في ترجمة الإمام طاووس ابن كيسان أنه قال : لقي عيسى ابن مريم عليه السلام إبليس فقال : أما علمت أنه لن يصيبك إلا ماقدر لك ؟ قال نعم ! قال إبليس فارق إلى ذروة هذا الجبل

فتردا منها فانظر أتعيش أم لا ؟ فقال له عيسى : أماعلمت أن الله تعالى قال : لايختبرني عبدي فإني أفعل ما شئت ، إن العبد لا يبتلي ربه ولكن الله يبتلي عبده ، قال طاووس فخصمه .

ومما كتب به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النبي الصادق الفضيل الجليل الخليل إلى صاحبه الإمام الحفيل معاذ ابن جبل الخزرجي الأنصاري لمامات ابن له فعزاه صلى الله عليه وآله وسلم به ؛ وهذا صورة الكتاب :

من محمد رسول الله إلى معاذ ابن جبل ؛ السلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لآ إله إلا هو ، أما بعد فأعظم الله لك الأجر ، وألزمك الصبر ، ورزقنا وإياك الشكر ، ثم أنفسنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا من مواهب الله الهنية ، وعواريه المستودعة ، يمتع الله بها إلى أجل معدود ، ويقبضها لوقت معلوم ، ثم افترض الله علينا الشكر إذا أعطى والصبر إذا ابتلى ، وكان إبنك هذا من مواهب الله الهنيئة ، وعواريه المستودعة ، متعك به في غبطة وسرور ، وقبضه بأجر كبير إن صبرت واحتسبت ، لايجمعن عليك يامعاذ أن يحبط جزعك أجرك فتندم على ما فاتك ، فلو قدمت على ثواب مصيبتك عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه ، واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ، ولايدفع حزنا ، فليذهب عنك أسفك ما هو نازل بك ، والسلام . انتهى كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتدبره ترشد ، واعمل به تسعد ، وبالله التوفيق .

وفي كتاب شرح الحكم عن ابن العريف رضي الله عنه من كتاب مفتاح السعادة له قال فيه : كان بالمغرب رجل يدعى أبا الخيار رحمه الله ونفعنا بذكره ، أصله من صقليه وموطنه بغداد ، وجاوز سنه التسعين وهو في الرق لم يعتقه مولاه وذلك منه على قصد واختيار ، وعم جسده الجذام ؛ ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة ، قال الذي حدثني رأيته يصلي على الماء ، ثم لقيت بعده محمد الأسنجي فإذا هو أبرص فقلت ياسيدي كأن الله تعالى لم يجد للبلاء محلا من أعدائه حتى أنزله بكم وأنتم خاصة أوليائه ، قال لي : أسكت لا تقل ذلك إنه لما أشرفنا على خزائن العطاء لم نجد عند الله تعالى شيئا أشرف ولا أقرب إليه من البلاء فسألناه إياه ، فكيف بك لو رأيت سيد الزهاد وقطب العباد وامام الأولياء والأوتاد في غار بأرض طرسوس وجبالها ، لحمه يتناثر وجلده يسيل قيحا وصديدا ، وقد أحاط به الذباب والنمل ، فإذا كان الليل لم يقنع بذكر الله تعالى وشكره على ما أعطاه من الرحمة ، وأسكن جسده من العافية حتى شد نفسه بالجريد ويستقبل القبلة عامة ليله حتى يطلع الفجر . انتهى .

وقال بعضهم : مرض الجنيد رضي الله عنه فقال : اللهم عافني ، فسمع هاتفا يقول : مالك والدخول بيني وبين ملكي .

وفي كتاب حياة الحيوان الكبرى قال : قال الإمام العلامة شيخ الشريعة والحقيقة أبو طالب المكي رحمه الله تعالى في كتاب قوت القلوب : اعلم أن العلماء بالله تعالى لم يتوكلوا عليه لأجل أن يحفظ لهم دنياهم ولا

لأجل أن يبلغهم رضاهم ومرادهم ، ولا ليشترطوا عليه حسن القضاء بما يحبون ، ولا ليبدل لهم جريان أحكامه عما يكرهون ، ولا ليغير لهم سابق مشيئته إلى ما يعقلون ، ولا ليحول سنته التي قد خلت في عباده من الإبتلاء والإمتحان والإختيار ! هو أجل في قلوبهم من ذلك وهم أعقل عنه وأعرف به من هذا ، فلو اعتقد عارف بالله تعالى هذه المعاني مع الله تعالى في توكله لكانت كبيرة توجب عليه التوبة وكان توكله معصيه ، وإنما أخذوا نفوسهم بالصبر على أحكامه كيف جرت ، وطالبوا قلوبهم بالرضا كيف جرى . انتهى .

وقال الدميري : قال أبو داود الطيالسي في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : لايلدغ المؤمن من جحر مرتين . معناه أن المؤمن لا يعاقب على ذنب في الدنيا ثم يعاقب عليه في الآخرة . ثم قال الدميري : ويؤيد ماقاله أبو داود الطيالسي مارواه النسائي عن علي ابن سخلة أنه سمع عليا رضي الله عنه يقول : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى ؟ قالوا بلى ! قال قوله عز وجل ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير** ﴾ ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ياعلي ما أصابك من بلاء أو عقوبة أو مرض في الدنيا فبما كسبت يديك ، والله أكرم أن يثني على عبده في الآخرة العقوبة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فإنه أكرم أن يعود في العقوبة بعد عفوه .انتهى . ثم قال الدميري : وكذلك قال الواحدي إن هذه الآية أرجى آية في القرءان لأنه جعل ذنوب المؤمنين

صنفين : صنف كفرته المصائب ، وصنف عفا عنه وهو كريم لايعود في عفوه .

قلت : وفي تفسير البغوي عن جماعة من العلماء في معنى قوله تعالى ﴿ **وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله** ﴾ قالوا : هو أن الله عز وجل يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم وأخفوه ويعاقبهم عليه ؛ غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعملوه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والأمور التي تحزنهم .

قال البغوي : وهذا قول عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا عائشة هذه معاقبة الله للعبد بما يصيبه من الحمى والنكبة ؛ حتى الشوكة والبضاعة يضعها في كمه فيفقدها فيروع لها فيجدها في ضبنته ، حتى أن المؤمن يخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير . انتهى . التبر هو الذهب .

وفي البغوي أيضا بسنده إلى أنس ابن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : إذا أراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة في الدنيا ، واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه يوم القيامة .

وقال الفضيل ابن عياض نفع الله به : إني لأعصي الله تعالى فأعرف ذلك في خلق حماري وغلامي . وقال : إذا أحب الله عبدا أكثر

غمه ، واذا أبغضه وسع عليه دنياه . وشكى رجل إلى الفضيل حاله فقال له يا أخي هل من مدبر غير الله ؟ قال لا ! قال فارض به مدبرا .

وقال الشيخ ابن عباد في شرح الحكم له : ينبغي للعبد أن لا يتخير شيئا على مولاه ولايجزم بصلاحية حال من الأحوال له ، لأنه جاهل من كل وجه ويكره الشيء وهو خير له ، ويحب الشيء وهو شر له .

قلت : انظر رحمك الله ووفقك للخير إلى ما أشار به الشيخ ابن عباد نفع الله به إلى معنى قول الله تعالى ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ وتدبر هذه الآية وتفهمها ترشد وتسعد وترضى بمر القضاء إن شاء الله تعالى .

وفي الخبر أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ياداود إني جعلت أربعة أشياء في أربعة أشياء ؛ والناس يطلبونها في غيرها فلا يجدونها : جعلت الحكمة في القلوب الجائعة والناس يطلبونها في الشبع فلا يجدونها ، وجعلت العز في طاعتي والناس يطلبونه في أبواب الملوك فلا يجدونه ، وجعلت رضاي عنهم فيما يكرهون والناس يطلبونه فيما يحبون ولا يجدون ، وجعلت الراحة في الجنة والناس يطلبونها في الدنيا فلا يجدونها .

رجعنا إلى كلام ابن عباد ؛ ثم قال فيه : قال سيدي أبي الحسن رضي الله عنه : لا تختر من أمورك شيئا واختر أن لاتختار ، وفر من

ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله عز وجل ، وربك يخلق ما يشاء ويختار . ثم قال فيه : ودخل رجل على سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه وكان به ألما فقال له ذلك الرجل : عافاك الله ياسيدي ؛ فسكت ولم يجاوبه ، ثم سكت ذلك الرجل ساعة ثم قال الله يعافيك ياسيدي ، فقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه : وأنا ما سألت الله العافية ! قد سألته العافية والذي أنا فيه هو العافية ، هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد سأل العافية ، وقد قال ما زالت أكلت خيبر تعاودني فا لآن قد قطعت أبهري . وسيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه سأل العافية وبعد ذلك مات مسموما ، وسيدنا عمر رضي الله عنه سأل العافية وبعد ذلك مات مطعونا ، وسيدنا عثمان رضي الله عنه سأل العافية وبعد ذلك مات مذبوحا ، وسيدنا علي رضي الله عنه سأل العافية وبعد ذلك مات مقتولا . فإذا سألت العافية فاسأله العافية حيث يعلم أنها عافية .

قال ابن عباد : فعلى العبد أن يسلم نفسه إلى مولاه ، ويعتقد أن الخيرة له في جميع ما به يتولاه ، وان خالف ذلك مراده وهواه ، فإذا دعا وطلب من مولاه شيئا يرى أن فيه مصلحة أيقن بالإجابة لا محالة ، قال الله عز وجل ﴿ **وقال ربكم أدعوني أستجب لكم** ﴾ .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ما من داع يدعو إلا استجاب الله دعوته أوصرف عنه مثلها سوأ ، أو حط عنه من ذنوبه بقدرها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم . ثم

قال ابن عباد : وقد جاء في بعض الأخبار : يبعث عبد فيقول الله تعالى له : ألم آمرك برفع حوائجك إلي ! فيقول نعم وقد رفعتها إليك ، فيقول الله تعالى ما سألت شيئا إلا أجبتك فيه لكن أنجزت لك البعض في الدنيا وما لم أنجزه في الدنيا فهو مدخر لك فخذه الآن حتى يقول ذلك العبد ليته لم يقض لي حاجة في الدنيا .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معنى النهي عن الإستعجال في إجابة الدعاء في قوله : يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي . وقد دعا موسى وهارون عليهما السلام على فرعون فيما أخبر الله تعالى عنهما حيث قالا ﴿ **ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ ثم قال ابن عباد فأخبر تعالى أنه أجاب دعائهما في قوله سبحانه ﴿ **قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لايعلمون** ﴾ قالوا وكان بين قوله تعالى لهما ﴿ **قد أجيبت دعوتكما** ﴾ وبين هلاك فرعون أربعين سنة .

وقال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ **فاستقيما** ﴾ أي على عدم استعجال ما طلبتما ﴿ **ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون** ﴾ هم الذين يستعجلون الإجابة . وناهيك شرفا وحظا ما

يتحصل له بسبب مداومة الدعاء من الظفر بمحبة الله وموافقة رضاه . فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : إن الله يحب الملحين بالدعاء .

وقد جاء في الحديث قال جبريل عليه السلام : يارب عبدك فلان اقض له حاجته ؟ فيقول الله عز وجل دعوا عبدي فإني أحب أن أسمع صوته . رواه أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . قال ابن عباد : ومقتضى هذا إن من الناس من يعجل الله له نوال حاجته لكراهية صوته . ثم قال : قال أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه :كل من يكن في دعائه تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق فهو مستدرج ، وهو ممن قيل له : اقضوا حاجته فإني أكره أن أسمع صوته . قال ابن عباد : وقد تكون الإجابة مترتبة على شروط لا علم للداعي بها فتتأخر لعدم وقوع ذلك الشرط أوبعضه ، وذلك مثل وجود الإضطرار ، قال الله تعالى ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ فترتب الإجابة على الإضطرار في الدعاء . وقد قال بعض العارفين : إذا أراد الله تعالى أن يستجيب دعاء عبد من عبيده رزقه الإضطرار في الدعاء ليتحققه العبد من نفسه في جميع حالاته . وقال بعضهم : المضطر الذي إذا رفع إلى الله يده لم ير لنفسه عملا ؛ وهذا مقام شريف ، وحال منيف ، مستبعد على أكثر الناس الوصول إليه ، فكيف يتحقق ما يثني عليه . انتهى .

وقال في شرح الحكم أيضا قال في التنوير : يحكى عن بعضهم أنه كان يقول : وددت لو أني تركت الأسباب وأعطيت كل يوم رغيفين ؛

يريد بذلك أن يستريح من تعب الأسباب ، قال : فسجنت ثم لما كنت في السجن يؤتى لي في كل يوم رغيفين ؛ وطال ذلك علي حتى ضجرت ، ففكرت يوما في أمري فقيل لي : إنك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية فأعطيناك ما طلبت ، فاستغفرت تعالى ورجعت إلى الله ، فإذا باب السجن يقرع فتخلصت وخرجت ، ثم قال لي فيه : فتأدب أيها المؤمن فلاتطلب أن يخرجك من أمر ويدخلك فيما سواه إن كان ما أنت فيه ما يوافق لسان العلم ، فإن ذلك من سوء الأدب مع الله ، فاصبر لئلا تطلب الخروج بنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه . إلى آخر ماقال . انتهى .

وقال بعض الصحابة : ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانا إذا لم يصبر على الأذى . ووجد في رسالة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري : عليك بالصبر ، واعلم بأن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر ، فالصبر في المصائب حسن ، وأفضل منه الصبر عن ما حرم الله تعالى ، واعلم أن الصبر ملاك الإيمان ؛ وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر .

وقال علي كرم الله وجهه : بني الإيمان على أربع دعائم : اليقين والبر والجهاد والعدل .

وقال أيضا : بني الكفر على أربع دعائم : الجفا والعمى والغفلة والشك ، فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ، ومن عمي

نسي الذكر ، ومن غفل حاد عن طريق الرشد ، ومن شك غرته الأماني وأخذته الحسرة والندامة ، وبدأ له من الله ما لم يكن يحتسب .

وقال أيضا : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ، ولا إيمان لمن لاصبر له .

وكان عمر رضي الله عنه يقول : نعم العدلان ونعمت العلاوتان للصابرين ، يعني بالعدلين الصلاة والرحمة ، وبالعلاوة الهدى ، والعلاوة ما يحمل فوق العدلين فوق البعير ، وأشار به إلى قوله تعالى ﴿ **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة** ﴾ الآية .

وكان حبيب ابن أبي حبيب إذا قرأ هذه الآية ﴿ **إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب** ﴾ يبكي ويقول : وآعجباه أعطى وأثنى ، أي هو المعطي الصبر والمثني عليه .

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر .

وقال المسيح عليه السلام : ما حلم من لم يصبر عند الجهل ، وما قوة من لم يرد الغضب ، وما عبادة من لم يتواضع للرب .

وقال بعض الحكماء : كظم الغيظ حلم ، والحلم صبر ، والتشفي ضرب من الجزع .

وقال أكتم بن صيفي : لايكون الرجل حليما حتى يقول السفيه إنه لضعيف مستذل ، ولايكون مخلصا حتى يقول الأحمق أنه لمفسد . وقال : من حلم ساد ، ومن تفهم ازداد ، وكفر النعمة لوم ، وصحبة الجاهل شؤم ، ولقاء الإخوان غنم . وفي الأمثال القديمة : كاد الحليم أن يكون نبيا .

قلت : وقد أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك في حديث الأعرابي صاحب الضب الذي جفا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وواجهه بالقول الغليظ ، فأراد سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قتل الأعرابي فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا .

ومن أمثال العرب : إحلم تسد . وقال الأحنف : وجدت الحلم أنصر لي من الرجال . وقال لماقيل له ما أحلمك ؛ قال لست بحليم ولكني أتحالم ، والله إني لأسمع الكلمة فأصم لها ثلاثا ما يمنعني من جوابها إلا الخوف أن أسمع ماهو أشر منها . وسئل عن الحلم فقال : هو الذي تصبر عليه ولست بحليم ولكني صبور .

وحكي أن بعض أهل الفضل حصل عليه أذى من الحجاج بن يوسف الثقفي فخرج هاربا منه ، فبينما هو في بعض البراري إذ سمع إعرابيا ينشد بهذه الأبيات :

صبر النفس عنـــــد كل مهم　　إن في الصبر حيلة المحتال

لاتضيقن في الأمور فـــقد تكـ　　ـشف غماؤها بغيراحتيـال

رب ما تكره النفوس من الأمـــ　　ـرله فرجة كحل العـقال

قال فلما كان بعد ذلك بقليل إذ بقائل يقول : مات الحجاج ، فلم أدري بأيهما أنا أشد فرحا ؛ بموت الحجاج أوبحفظي هذه الأبيات .انتهى بمعناه .

وعن بعض أصحاب إمامنا الشافعي أنه قال : من كرر هذين البيتين وهو في كرب فرج الله كربه :

صبر جميل ما أسرع الفرجا   من صدق الله في الأمور نجا
من خشي الله لم ينله أذى   من رجا الله كان حيث رجا

وكان بعض الشجعان يؤيد نفسه في المعركة ويتمثل بهذه الأبيات ، فينبغي لكل حي في الدنيا أن يتمثل بها لأن الدنيا مثل المعركة . وكما روي عن بعضهم أنه قال : من طلب البقاء في الدنيا فليعد للمصائب قلبا صبورا . وهذه الأبيات المشار إليها :

أقول لها وقد طارت شعاعا   من الأبطال ويحك لم تــراعي
فإنك لو سألت بقـــاء يوم   على الأجل الذي لك لم تطاع
فصبرا في مجال الموت صبرا   فما نيل الخــــلود بمستطاع

وقال عمر ابن عبد العزيز في خطبته : ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر إلا كان ما عوضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾

وقيل حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم ؟ فقالوا : نحن أحباؤك جاءوك زائرين ، فأخذ يرميهم بالحجارة ،

فأخذوا يهربون ، فقال : لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي . وقال أكتم بن صيفي : الصبر على جزع الحلم أعذب من جني ثمر الندم .

ومن جملة كتاب كتبه سيدنا عبد الله بن علوي الحداد حين شكى إليه سيدنا وشيخنا الحبيب أحمد بن زين الحبشي أذى حصل عليه من بعض الناس فقال في جوابه له : ما هناك كبير أمر ، والناس كما تعلم وترى وعلى ما هو أكثر من ذلك وأنكر ينطوون ويضمرون ، فاتق ما بدا منهم وما خفي من فتنهم وشرورهم بالرفق واللطف وحسن المدارة عند الملابسة ، واغتنم العافية التي هي أوسع الأشياء ، والسكون من أفضل أجزائها كما يقال ؛ والسكون عافية ، ولاتأخذ شيء ولا في شيء أي شيء كان يؤول إلى تحريك الطباع وايحاش الصدور والقلوب ممن لا يتقي عارا ولا نارا ، وعامة أهل الزمان كذلك إلا من رحم الله وقليل ماهم ، فلا تغالب ولا تزاحم ولاتنازع ولا تخاصم ، واعلم أنا آخذون بهذا في محلنا ومع أصحابنا وهو أطيب من محلكم وأطهر ، وأكبر خيرا وأظهر ، ولولا ذلك لتحرك علينا من شرورهم وفتنهم ماتضيق به الصدور والأماكن ، وينزعج له كل ظاهر وباطن ، واسمع ولا تجوب ، واقبل النصيحة عفوا ممن قامت عليه غالية ، وخذها لها ولغيرها . والسلام .

وكان أسلم بن نوفل سيد بني كنانة ضربه رجل من قومه بسيفه وأخذ فأتي به فقال له : ما حملك على ما فعلت أما خشيت انتقامي ؟ فقال له : فلم سودناك إلا أن تكظم الغيظ وتعفو عن الجاني وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه في النفس والمال ، فخلا سبيله .

وروي أن هشاما غضب على رجل من أشراف الناس فشتمه فقال له الرجل : أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في أرضه ! فأطرق هشام واستحى وقال له إقتص ! فقال إذا أنا سفيه مثلك ، فقال خذ بذلك عوضا من المال ، فقال ما كنت لأفعل ، قال فهبها لله، قال هي لله ، فنكس هشام رأسه وقال : والله لا أعود لمثلها أبدا .

وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها ﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾

ويقال : إن إمرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت ، فقيل لها ما تجدين الوجع ؟ فقالت إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه .

ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فإذا هي قد أخذت من كمه فقال : بارك الله له فيها لعله أحوج إليها مني .

ويروى عن بعضهم أنه قال : مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى وبه رمق ، فقلت له أسقيك ماء ؟ فقال جرني قليلا إلى العدو واجعل الماء في الترس فإني صائم ، فإن عشت إلى الليل شربته . قلت : وقد قتل سالم المذكور ومولاه أبي حذيفة يوم اليمامة ، وكانت مصارعهما قريبا من بعضهم بعض ، رضي الله عنهما .

ومر المسيح عليه السلام على قوم من اليهود فقالوا شرا ! فقال لهم خيرا ! فقيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا ! فقال كل ينفق مما عنده .

وقال كعب ابن زهير شعرا :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليما أو أصابك جاهل

قيل هذا أشعر بيت قيل في الحلم .

وروي أن رجلا سب جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه فقال له جعفر الصادق : أما ما قلت مما هو فينا فإنا نستغفر الله منه ، وما قلت مما ليس فينا فإنا نكلك فيه إلى الله .

وقيل إن مما كتب في الصحيفة الصفراء المعلقة في أعظم هياكل الفرس : كما أن الحديد يعشق المغناطيس فكذلك الظفر يعشق الصبر ؛ فاصبر تظفر .

وقال الإمام حجة الإسلام الغزالي في كتاب الصبر له : فإن قلت فبما ذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الأمر إلى اختياره فهو مضطر شاء أم أبا ، فإن كان المراد به أن لا تكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الإختيار . ثم قال : فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود ، والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم ، وهذه الأمور داخلة تحت اختياره ، فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله ، ويبقى

مستمرا على عادته ، ويعتقد أن ذلك كان وديعة فاسترجعت ، كما روي عن الرميصاء أم سليم رحمها الله أنها قالت : توفي ابن لي وزوجي أبوطلحة غائب ، فقمت فسجيته في ناحية البيت ، فقدم أبوطلحة فقمت فهيأت له إفطاره فجعل يأكل ، فقال كيف الصبي ؟ فقلت بأحسن حال بحمد الله ومنه ؛ فإنه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة ، ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته ، ثم قلت ألا تعجب من جيراننا ! قال وما لهم ؟ قلت أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا ، فقال : بئس ما صنعوا ، فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه ، فحمد الله واسترجع ، ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره ؛ فقال : اللهم بارك لهما في ليلتهما . قال الراوي : فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأوا القرءان . وروى جابر أنه عليه الصلاة والسلام قال : رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء إمرأة أبي طلحة . انتهى .

وقد قيل : الصبر الجميل هو أن لايعرف صاحب المصيبة من غيره ، ولايخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع ؛ إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل الموت سواء ، ولأن البكاء توجع القلب على الميت فإن ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الإنسان إلى الموت ، ولذلك لما مات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاضت عيناه فقيل له : أما نهيتنا عن هذا ؟ فقال : إن هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء ، بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا ، فالمقدم على

الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه إذا عظم ألمه .

ثم قال الغزالي رحمه الله تعالى : واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه ، فإذا مهما دفع الكراهية بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين ، نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب . انتهى .

وقد قيل : من كنوز البر : كتمان المصائب والأوجاع والصدقة .

قال بعض العارفين : البلايا لا يصبر عليها إلا المؤمن ، والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق .

وقال سهل : الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء . ولما فتحت أموال الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا ، وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر .

وقال الإمام حجة الإسلام رضي الله عنه : الرجل كل الرجل من يصبر على العافية ، قال : ومعنى الصبر على العافية أن لايركن إليها ، ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده ، وعسى أن يسترجع على القرب ، وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها ، ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب ، وأن يرعى حقوق الله في ماله بالإنفاق ؛ وفي بدنه ببذل المعونة للخلق ، وفي لسانه ببذل الصدق ، وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه ، وهذا

الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر . وقال الإمام علي الرضا ابن موسى الكاظم نفع الله به شعرا :

إعذر أخاك على ذنـــوبه   واستر وغط على عـيوبه
واصبر على سفه السفيه   وللزمان على خطـــوبه
ودع الجواب تفضــــلا   وكل الظلوم إلى حبيـبه

وروي أن الله أوحى إلى داود عليه السلام : ياداود من صبر علينا وصل إلينا .

وقال سفين : بلغنا أن لكل شيء ثمرة ؛ وثمرة الصبر الظفر .

وقال الحسن في قوله تعالى ﴿ **وإذ ابتلى إبرا هيم ربه بكلمات فأتمهن** ﴾ قال ابتلاه بالكوكب فصبر ، وبالقمر فصبر ، وابتلاه بذبح إبنه فصبر .

وقال سيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه لإبنه الحسن والحسين : يابني زينة الفقر الصبر ، وزينة الغنى الشكر .

وقال أيضا : طلبت الرفعة فوجدتها في التواضع ، وطلبت الرئاسة فوجدتها في العلم ، وطلبت المروءة فوجدتها في الصدق ، وطلبت الحكمة فوجدتها في الصمت ، وطلبت النصر فوجدته في الصبر ، وطلبت الراحة فوجدتها في ترك الحسد، وطلبت السلامة من الغيبة فوجدتها في الخلوة ، وطلبت الغنى فوجدته في القناعة ، وطلبت الملك فوجدته في

الزهد ، وطلبت الصاحب فوجدته في العمل الصالح ، وطلبت ثقل الميزان فوجدته في مداومة الذكر ، وطلبت الأنس فوجدته في تلاوة القرءان ، وطلبت العز فوجدته في السخاء .

وقد سئل الأحنف عن الشجاعة فقال : صبر ساعة .

وقال أكثم بن صيفي : من صبر ظفر .

وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : الصبر مطية لا تكبوا ، والقناعة سيف لا ينبو .

وقال أزد شير : الصبر الدرك .

وقال ابن عباس : أفضل العدة الصبر على الشدة .

وقال عبد الحميد الكاتب : لم أسمع أعجب من قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : لوكان الصبر والشكر مطيتان ما باليت أيهما ركبت .

وقال بعض الحكماء : بالصبر على مواقع المكروه تدرك الحظوظ .

وقال بزرجمهر : لم أر ظهيرا على تنقل الدول كالصبر ، ولا مذلا للحساد كالتجمل ، ولامكسبة للإجلال كتوقي المزاح ، ولا مجلبة للمقت كالإعجاب ، ولامتلفة للمروءة كاستعمال الهزل في مواضع الجد .

وسئل الجنيد عن الصبر فقال : تجرع المرارة من غير تعبيس .

وقال الخواص : الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة .

وقال عبد الواحد بن زيد : من نوى الصبر على طاعة الله صبره الله تعالى عليها وقواه ، ومن عزم على الصبر عن معصية الله تعالى أعانه الله تعالى وعصمه منها .

وقال عمر ابن عبدالعزيز للقاسم بن محمد أوصني فقال القاسم : عليك بالصبر في مواضع الصبر .

وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لرجل : إن صبرت مضى أمر الله وكنت مأجورا ، وإن جزعت مضى أمر الله وكنت مأزورا .

وقال الحسن : والله لو كلفنا الجزع ما قمنا به ، فالحمد لله الذي آجرنا على ترك ما لو نهانا عنه لصرنا إليه .

وعن هذا قالت الحكماء : الجزع أتعب من الصبر ، ففي الجزع التعب والوزر ، وفي الصبر الراحة والأجر ، ولو صور الجزع والصبر لكان الصبر أحسن صورة وأكرم طبيعة ، وكان الجزع أقبح صورة وأجور طبيعة ، ولكان الصبر أولاهما بالغلبة بحسن الخلقة وكرم الطبيعة .

وقال بعض العلماء : لو وكل الناس بالجزع للجاءوا إلى الصبر .

وقال بعض الحكماء : الزهد في الدنيا يكون باليقين ، واليقين بالصبر ، والصبر بالعبر ، والعبر بالتفكر .

وقال سيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه : مفتاح الجنة الصبر ، ومفتاح الشرف التقوى ، وقال شعرا :

الصبر من كرم الطبيعة   والمن مفسدة الصنيعة
ترك التعاهد للصـديق   يكون داعية القطـيعة

وقال بعضهم شعرا :

ثق بالذي يعدل بين الورى   واصبر ففي الصبر حديث عجيب
فسوف يأتيك على غفـــلة   نصر من الله وفتح قـــــــريب

وقال آخر شعرا :

عليك إذا ضاقت أمورك والتوت   بصبر فإن الضيق مفتاحه الصبر
و لاتشتكي إلا إلى الله وحـــده   فمن عنده تأتي الفـــوائد واليسر
عسى فرج يأتي به الله إنـــــه   له كل يوم في خليقـــــته أمر

وقال شبيب ابن شيبة للمهدي : إن أحق ما صبرت عليه مالم تجد سبيلا إلى دفعه ، وأنشد شعرا :

وإن تصبك مصيبة فاصبر لها   عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

وقال الشاعر :

وعوضت أجرا من فقيد فلا يكن   فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

وقد رأيت في بعض المنامات كأني أقرأ هذين البيتين في شيء من مصنفات سيدي الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي :

توقع صنع ربك سوف يأتي   بما ترجوه من فرج قـــــريب
ولا تجزع إذا ماضاق أمـــر   فكم في الغيب من عجب عجيب

وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي : آذاني إنسان مرة فضقت ذرعا لذلك ، فنمت فرأيت أنه يقال لي : من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالي بهم ، شعرا :

أصبر على غصص المكاره كلها   فلعلها أن تنجلي فلعـــــلها
في كل أرض محنة وبلـــــية   ولعل أرضك إن صبرت أقلها

وقال بعض الحكماء : ليس بمجموع له الرشد من يتابع التلهف على فائت ؛ أو أكثر الفرح عند مستطرف .

وقال الحكيم : إن كنت جازعا على ما تفلت من يديك فاجزع على ما لم يصل إليك ، ومن أيقن أن كل فائت إلى انقضاء حسن عزاؤه عند نزول القضاء . وقال الشاعر :

إذا طال بالمحزون أيام صـبره   كساه ضنا حال المقام على الصبر
ولا شك أن الصبر يحمد غبه   ولكن إنفاقي عليه من العـــــمر

وقال بعض الحكماء : الصبر على أربع مراتب : الشوق والإشفاق والزهادة والترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ، ومن راقب الموت أقصر عن الخطيئات .

وحكي أنه كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاءه أخوه فيصافحه ويقول : يا عبد الله اتق الله فإن لك في رسول الله أسوة حسنة ، ولله در القائل شعرا :

أصـــبر لكل مصيبة وتجلد   واعلم بأن المرء غيرمخـــــــلد

فاصبر كما صبر الكرام فإنها نوب تنوب ثم تكشف في غد
واذا أتتك مصيبة تشجا بها فاذكر مصابك بالنبي محـمـــد

قلت : وهذه الأبيات تشير إلى ما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم خطب الناس فقال : ياأيها الناس ؛ من أصيب منكم بمصيبة من بعدي فليتعز بمصيبته بي عن مصيبته التي تصيبه ؛ فإنه لن يصاب أحد من أمتي بمثل مصيبته بي . وقال محمد بن بشير شعرا :

إن الأمــور إذااشتدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجـا
لا تيأسن وان طالت مطالـــبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجـا

وقال آخر :

الصبر مفتاح كل خـير وكل شر به يهـــــون
أصبر وإن طالت الليالي فربما ساعد الحـــــزون
وربما نيل باصطـــــبار ما قيل هيهات لا يكون

وقال علي رضي الله عنه : الصبر كفيل بالنجاح، والمتوكل لايخيب ظنه ، والعاقل لا يذل بأول نكبة ولا يفرح بأول رفعة .

وقد روي عن بعض المشائخ الفضلاء من أولاد الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن الحاج بافضل أنه قال : ما جزعت من مصيبة ولاحزنت من نكبة كائنة ما كانت بعد ماسمعت بقتل الحسين بن علي ومن معه رضوان الله عليهم أجمعين . انتهى بمعناه. ولبعضهم شعرا :

سأسكت صبرا واحتسابا فإنني أرى الصبر سيفا ليس فيه فلول

عذابي أن اشكو إلى الناس إنني عليل ومن أشكو إليه عليـــــل
وإن الذي يشكو إلى غير نافـع ويسخوا بما في نفسه لجهـــــول

وقال أخرج بن عساكر مرفوعا : أزهد الناس في الأنبياء وأشدهم عليهم الأقربون . وروى البيهقي عن كعب الأحبار أنه قال لأبي مسلم الخولاني : كيف تجد قومك لك ؟ قال : مكرمين مطيعين ، قال : ما صدقتني التوراة إذا ، وآيم الله ماكان رجل حكيم في قوم قط إلا بغوا عليه وحسدوه .

وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام : لايفقد نبي حرمته إلا في بلده .

قال الإمام جلال الدين السيوطي : واعلم أنه ما كان كبير في عصره قط إلا كان له عدو من السفلة ؛ إذ الأشراف لم تزل تبتلى بالأطراف ، ثم عدد جماعة من الفضلاء الذين حصل عليهم ما حصل من الإبتلاء بالبغض والقلا من قومهم من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى زمانه . انتهى والله أعلم . وأنشدوا لبعضهم هذين البيتين قالوا إنها مجربة لتفريج الكروب :

ولرب حادثـة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخـرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخر :

دع الـــــــدهر يجري بمقداره ويقضي عجائب أوطاره
ونم نومة عـــــن ولاة الأمور وخل الــزمان بتزواره

فإنك ترحـــم من قد غبطت　　وتعجب من قبح آثاره

وقال آخر :

توقع لأيام اللئام زوالـــــــها　　فعما قريب سوف ينكر حالها

فلو كنت تدعو الله في كل لحظة　　لتبقى عليهم ما أمنت انتقالـها

وقال آخر :

فاصبر لها غير محتال ولا ضجر　　في حادث الدهر ما يغني عن الحيل

وفي كتاب العوارف للشيخ عمر ابن السهروردي شعرا :

إذا شئت أن تستقرض الناس منفقا　　على شهوات النفس في زمن العسر

فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها　　عليك وارفـــــاقا إلى زمن اليسر

فإن فعلت كنت الغني وإن أبت　　فكل منوع بعدها واسع العــــــذر

وقيل للمحاسبي بم يقوي الصابر على صبره فقال : إذا علمت أن في صبرك رضى مولاك ، أما سمعت قول الحكيم :

رضيت وقد أرضى إذا كان مسخطي　　من الأمر مافيه رضى صاحب الأمر

وقال الشاعر :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى　　فما انقادت الآمال إلا لصـــــابر

وقال آخر :

صبرت على الأيـام حتى تولت　　وألزمت نفسي صبرها فاستقلت

وكانت على الأيام نفسي عزيزة　　فلما رأت صبري على الذل ذلت

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى　　وإن أطعمت تـاقت وإلا تسلت

وقال الشيخ أبوبكر بن محمد الوليد في كتاب سراج الملوك : وينبغي لمن نزلت به مصيبة أو كان في شدة أن يبتغي تسهيلها على نفسه

فلا يغفل عن تذكر ما يتيقنه من وجوب الفنا وتقضي المسار ، وأن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يعادي من لا علم له ، ولها يحسد من لا فقه له ، ولها يسعى من لا ثقة له ، من صح فيها سقم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها فتن ، حلالها حساب ، وحرامها عتاب، لا خيرها يدوم ولا شرها يبقى ، ولافيها لمخلوق بقا ، فإذا تصور حقيقتها فحينئذ يرى الحوادث سهله ، والمصائب هينة . قال الشاعر :

يمـــــثل ذا اللب في لبه   مصائبه قبل أن تـــــنزلا
فإن نزلت بغتة لم ترعـــه   لما كان في نفسه مثـــــلا
رأى الأمر يفضي إلى آخـر   فصير آخـــــــره أولا
وذو الجهل يأمن أيامــــه   وينسى مصارع من قدخـلا
فإن دهمته صروف الزمـان   ببعض مصائبه أعــــولا
ولو قدم الحـــزم في نفسه   لعلمه الصبر عند البـــلا

وقال بعض الحكماء : اتخذت معجونا من ستة أخلاط فأنا أتداوى منه كل يوم ؛ وهو الذي استقامت به حالتي فلم تغيرها نكبات الدهر ، الخلط الأول : ثقتي بالله عز وجل ، الثاني : علمي أن كل مقدر كائن ، الثالث : الصبر أنفع ما تداوى به المبتلى ، الرابع : إذا لم أصبر فما ذا أفعل ، الخامس : كم من غيري في أشد مما أنا فيه ، السادس : من ساعة إلى ساعة فرج .

ومما وجد في وصية عثمان شعرا :

غنى النفس يغني النفس حتى يعزها وإن عضها حتى يضر بها الفقر
وما عسرة فاصبر لها إن لقيتها بكائنة إلا سيتبعها يسر
ومن لا يقاسي الدهر لم يعرف الأسى وفي عبر الأيام ما وعد الدهر

(خاتمة) قال الإمام حجة الإسلام : بيان حقيقة الصبر ومعناه : اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ، ومنزل من منازل السالكين ، وجميع مقامات الدين إنما تنتظم من ثلاثة أمور : معارف وأحوال وأعمال ، فالمعارف هي الأصول وهي تورث الأحوال ، والأحوال تثمر الأعمال ، فالمعارف كالأشجار ، والأحوال كالأغصان ، والأعمال كالثمار ، وهذا مطرد في جميع منازل السالكين إلى الله تعالى . واسم الإيمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل ، وكذلك الصبر لايتم إلا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة ، فالصبر على التحقيق عبارة عنها ، والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ؛ ولا يعرف هذا إلا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والإنس والبهائم ، فإن الصبر خاصية الإنس ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة ، أما في البهائم فلنقصانها ، وأما في الملائكة فلكمالها ، وبيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها ، فلا باعث لها على الحركة والسكون إلا الشهوة ، وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا ، وأما الملائكة عليهم السلام فإنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف .

وأما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه ، ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ، ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر ألبته ، إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما ، وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم ، ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده أكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم ، فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين ؛ أحدهما يهديه والآخر يقويه ، فتميز بميزة الملكين عن البهائم ، واختص بصنفين أحدهما : معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب ، وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف ، فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصلحة العواقب بل إلى مقتضى شهواتها في الحال فقط ، فلذلك لا تطلب إلا اللذيذ . وأما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه ، فصار الإنسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات مغبات مكروهة في العاقبة ، ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر يعرفه الإنسان ؛ كالمرض النازل به مثلا ولكن لاقدرة له على دفعه ، فافتقر إلى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه ، فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها ، وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوة ، فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى ذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد ، كما أن نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر .

قال : فلنسمي هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ، ولنسمي مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى ، وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى ؛ والحرب بينهما سجال ، ومعركة هذا القتال قلب العبد ، ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى ، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين ، وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين .

فإن ترك الأفعال المشتهاة عملا يثمره حال يسمى الصبر وهو باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة ، وثبات باعث الدين حالة تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضاداتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة ، فإذا قوي يقينه أعني المعرفة التي تسمى إيمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين، واذا قوي ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة ، فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة ، وقوة المعرفة والإيمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها ، وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيره إياهما ، وهما من الكرام الكاتبين ، وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين ، وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوي لم يخف عليك أن جانب اليمين هو أشرف

الجانبين من جنبتي الدوست الذي ينبغي أن يكون مسلما له ، فهو إذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال .

وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الإسترسال والمجاهدة ، فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء إليه فيكتب إعراضه سيئة ، وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب إقباله له حسنة ، وكذا بالإسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للإستمداد منه فهو به مسيء إليه فبقيت عليه سيئة ، وبالمجاهدة مستمد من جوده فيثبت له به حسنة ، وإنما ثبتت منه الحسنات والسيئآت بإثباتهما ، فلذلك سميا كراما كاتبين ، أما الكرام فلإنتفاع العبد بكرمهما ولأن الملائكة كلهم كرام بررة ، وأما الكاتبون فلإثباتهما الحسنات والسيئآت وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ، ومطوية عن سر القلب حتى لايطلع عليه في هذا العالم ، فإنهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجملة ما يتعلق بهما من جملة عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة ، وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الأبصار في هذا العالم ، ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين ؛ مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى ، وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم : من مات فقد قامت قيامته . وفي هذه القيامة يكون العبد وحده ، وعندها يقال ﴿ **ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة** ﴾ وفيها يقال ﴿ **كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ﴾

أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملاء من الخلق ، وفيها يساق المتقون إلى الجنة ، والمجرمون إلى النار زمرا لا آحادا ، والهول الأول هوهول القيامة الصغرى، ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى ؛ مثل زلزلة الأرض مثلا فإن أرضك الخاصة بك تزلزل في الموت ، فإنك تعلم أن الزلزلة إذا نزلت ببلدة صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها ، بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه ، لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة غيره ، فحصته من الزلزلة توفرت من غير نقصان .

قال : واعلم أنك أرضي مخلوق من التراب ، وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فأما بدن غيرك فليس بحظك ، والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدنك ظرف ومكان ، وانما خاف من تزلزله أن يتزلزل بدنك بسببه ، والا فالهوى أبدا متزلزل وأنت لا تخشاه إذ ليس يتزلزل به بدنك ، فحظك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك فقط ، فهي أرضك وترابك الخاص بك ، وعظامك جبال أرضك ، ورأسك سماء أرضك ، وقلبك شمس أرضك ، وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ، ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك ، وشعورك نبات أرضك ، وأطرافك أشجار أرضك ، وهكذا إلى جميع أجزائك ، فإذا انهدم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الأرض زلزالها ، فإذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فإذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا، واذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس

تكويرا ، فإذابطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا ، فإذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا ، فإذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا ، فإذا التفت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلا ، فإذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الأرض فمدت ؛ حتى ألقت ما فيها وتخلت ، وأذنت لربها وحقت .

قال : ولست أطول بموازين جميع الأهوال والأحوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ، ولايفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك ، فإن بقاء الكواكب في حق غيرك ما ذا ينفعك وقد انتشرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر إلى الكواكب ، والأعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلائها ؛ لأنها قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها ، فالإنجلاء بعد ذلك حصة غيره ، ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه ، إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس ، فمن لا رأس له لا سماء له ، فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره ! فهذه هي القيامة الصغرى ، والخوف بعد أثقل ؛ والهول بعد مؤخر، وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض ونسفت الجبال ونمت الأهوال .

قال : واعلم أن هذه القيامة الصغرى وإن طولنا في وصفها فإنا لم نذكر عشير أوصافها ، فهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة للولادة الكبرى

ثم قال : فما أعظم غفلتك يامسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الأهوال ، فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى !! أو ماسمعت قول سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم : كفى بالموت واعظا . أو ماسمعت بكربه عليه السلام عند الموت حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم هون على محمد سكرات الموت . أو ماتستحي من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لاينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ، فلايستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ، فيأتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون ، ويأتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون ، فياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون ، أفيظنون أنهم في الدنيا خالدون !! ﴿ **أولم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون** ﴾ أم يحسبون أن الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون ،كلا ! ﴿ **وإن كلا لما جميع لدينا محضرون** ﴾ لكن ﴿ **ما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين** ﴾ وذلك لأنا ﴿ **جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون** ﴾

(تتمة) قال الشيخ حجة الإسلام : اعلم أن الصبر أيضا ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم ، فالصبر عن المحظورات فرض ، وعن المكاره نفل ، والصبر عن الأذى المحظور محظور ، كمن تقطع

يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا ، وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة يسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم ، والصبر المكروه وهو الصبر على الأذى يناله بجهة مكروهة في الشرع ، فليكن الشرع محك الصبر ، فكون الصبر نصف الإيمان لا ينبغي أن يخيل إليك أن جميعه محمود ، بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة . إلى آخر ما ذكره الحجة نفع الله به ، فعليك بمطالعة الإحياء من كتبه وتأدب بما شرحه فيه من أدبه .

وقد انتهى ما كنا في طلبه من تحقيق حقائق الصبر وتفاوت معالي رتبه ، تم ذلك بحمد الله وحسن توفيقه ، قال مصنفه عفا الله عنه : فرغت من تحصيله يوم الجمعة منتصف جماد آخر سنة ١١٥٧ هـ سبع وخمسين ومائة وألف هجرية .

تم نقل هذا الكتاب من نسخة مخطوطة بقلم السيد سالم بن محمد بن عبدالله العطاس ونسخة ثانية غير مذكور اسم كاتبها وتمت مراجعة النسختين ومطابقتها بحسب الطاقة والإمكان ، ورحم الله إمرأ رأى خللا فأصلح أوزللا فسمح . وكان الفراغ من طباعتها ليلة الرابع عشر من شهر شوال سنة ١٤١٨ هـ بمدينة الهفوف بالأحساء .

أعيدت طباعتها للمرة الثانية بتاريخ : ١٤٣٣/١/١٣ هـ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين